والبارودى فى عصرى الطريق بين التراث والمعاصرة وهم اللذين أتاحت لهم ظروف حياتهم أن يمثلوا هاتين الظاهرتين أقوى تمثيل ظاهرة التواصل بين الأجيال ، وظاهرة المزاوجة بين القديم والجديد ، والربط بين الماضى والحاضر ، والمزج بين التراث والمعاصرة .

ومن بين هؤلاء الرواد الثلاثة يبدو الموقف من البارودى مختلفا عن موقف الرائدين الأولين ، اختلافا يجعله رائداً متفرداً متميزا فى تاريخ الشعر العربى على امتداد رحلته الفنية الطويلة ، فالبارودى لم يعش عصرين مختلفين كما كان الشأن مع حسان وبشار ، وإنما عاش عصرا واحدا ، فلم تتحقق له - كما تحققت لهما - تلك الصلة بين الموروث الفنى القريب الذى وجده الرائد ان القديمان : حسان فى العصر الجاهلى ، وبشار فى العصر الأموى ، وإنما وجد نفسه فى عصر سبقته عصور طويلة من الظلام تفصل بينه وبين عصور النور البعيدة ، ولم يقبل أن يعود إلى العصر القريب السابق على عصره ليستمد منه المادة التراثية التى يقيم عليها تلك المزاوجة بينها وبين عصره ، وإنما مضى فى الاختيار الصعب فتجاوزهذا العصر القريب ، وتجاوز عصوراً أخرى قبله ، وعاد عودة بعيدة إلى عصور النهضة فى تاريخ الشعر العربى ، واتخذ من المادة التراتية التى اتصل بها فى هذه العصور البعيدة العنصر التراتى الذى راح يقيم عليه بناءه الفنى الجديد عن طريق المزاوجة بينه وبين عصره. واتخذ من قمم الشعر فى هذه العصور مثله الفنية العليا ومعالم طريقه الفنى الجديد . ومن خلال هذه المزاوجة بين العصر الذى يعيش فيه وعصور النهضة البعيدة التى تجاوز إليها عصور الظلام ، مضى يشعل النور الجديد على ضفاف النهر الجديد الذى راح تيار الشعر يتدفع فيه بعد طول ركوده فى عصور الظلام .

ومن هنا يتراءى البارودى فى وضعه الدقيق ، فهو لا يمثل امتداداً متطوراً للشعر العربى بين مرحلتين متصلتين ، وإنما يمثل ثورة أو انقلابا فى تاريخ هذا الشعر خرق سنة التطور الطبيعية التى تحرك فيها على امتداد